الفصل الرابع عشر

«الصدام» فى مواجهة التطور الخلاق

obeikandl.com

obeikandl.com

تظهر نتائج هذه الدراسة أن الأصولية المسيحية أصبحت مع بزوغ فجر الألفية الجديدة قوة مسيطرة فى ساحة السياسة الأمريكية. لم يحدث ذلك فى ليلة واحدة. إنه، فى الحقيقة، نتيجة لصراع طويل من قبل الحركة الأصولية المسيحية فى الولايات المتحدة. إذا ما تحدثنا من منظور تاريخى، سنجد أن الحركة الأصولية المسيحية هى أكثر قدمًا وأكثر نشاطًا وقوة من الحركة الإسلامية الأصولية المعاصرة، ولكن بفضل جهل العلماء المسلمين ووسائل الإعلام بهذه الحقيقة، فإن العكس كان دائمًا ما يروج له وأصبح العالم الإسلامى مؤمنًا بأقوال العلماء الغربيين التى تؤكد الحقيقة المعكوسة. فى حقيقة الأمر، أنه فى العشرينيات من القرن العشرين، بينما كان مصطفى كمال يقوم بعولمة تركيا، كان الأصوليون المسيحيون قد نجحوا بالفعل فى خلط السياسة بالدين، وقاموا بتحويل التشريع فى خط متسق مع معتقداتهم فى كثير من الولايات. منعت تلك القوانين الأصولية تدريس نظرية النشوء. ولهذا جاءت محاكمة سكوپس فى تينيسى عام ١٩٢٥م. كان سكوپس مدرس الأحياء قد قام بخرق القانون الأصولى من خلال تدريسه نظرية النشوء فى الفصل الدراسى. كانت الحركة الأصولية المسيحية متقدمة أيضًا على الثورة الإيرانية، حيث إنها كانت قد واكبت بالفعل الرئيس «المولود ثانيًا، أو مجددًا» فى البيت الأبيض عام ١٩٧٦م، فى وقت سابق بكثير للثورة الإيرانية عام ١٩٧٨م. يبيّن هذا أن الثورة الأصولية المسيحية قد دخلت بالفعل البيت الأبيض قبل أن تدخل الثورة الإسلامية طهران. فى الألفية الجديدة، ظلت الأصولية المسيحية هى القوة الأيديولوچية المؤثرة الوحيدة فى الشئون العالمية بفضل تأثيرها على السياسة الأمريكية. تعتبر هذه القوة المؤثرة للأصولية المسيحية نتيجة مباشرة لقدرتها على فهم كيف تعمل الديمقراطية الليبرالية الأمريكية، وكيف تستخدمها لتحقيق الأجندة الداخلية والدولية للحركة بأسلوب جيد التنظيم ورفيع المستوى. يستحق زعماء الحركة

التقدير لذلك. ليس عجبًا الآن أن يقع اسم بيلى جراهام فى قائمة الشخصيات الست التى غيرت العالم فى القرن العشرين[٤١٧](*). كما أشير سابقًا، لقد استلهمت هذه الدراسة من سؤال بسيط أردت أن أحقق بشأنه فى مجال الاقتصاد السياسى فى الولايات المتحدة، والناشئ من نتيجة الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠م. أجاب الفصل الثامن عن السؤال المبدئى، حيث رأينا أن هؤلاء الذين أعطوا صوتهم الانتخابى لـ «چورچ بوش» عام ٢٠٠٠م، قد أعطوا أولوية أعلى نسبيًا لعوامل ما وراء الاقتصاد، وبذلك دحضوا عالمية الحكمة التقليدية التى تقول بأنه فى حالة الأداء الجيد للاقتصاد خلال فترة حكم رئيس ما، يفوز بالانتخابات الرئيس الحالى أو مرشح حزبه، مع نهاية مدة الحكم.

على الرغم من أن الأغنياء والأثرياء هم فى المقدمة بين الزعماء الجمهوريين، فإن أغلبية الجماهير التى صوتت لصالح چورچ بوش عام ٢٠٠٠م جاءت بشكل عام من فئة من المجتمع كانت لها إمكانيات اقتصادية محدودة(**)، وواجهت أيضًا مشاكل اجتماعية أخرى خطيرة كما نوقش فى الفصل الثامن. وبسبب موقفهم الاقتصادى وتحدياتهم الاجتماعية، فإنهم بحاجة للعمل بجهد لكى يبقوا فى حالة من التوازن، ويمثل الدين مصدر قوتهم فى الأوقات الصعبة. هؤلاء الناس العاديون، هم من أرادوا، بفضل مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية، تحقيق أجندة اقتصادية ـ اجتماعية معينة لكى تطبق فى الولايات المتحدة. ولهذا السبب تحديدًا، بالرغم من الأداء الاقتصادى الملحوظ خلال فترة إدارة كلينتون ـ جور، منحوا صوتهم الانتخابى لبوش الذى تعهد بالالتزام بأجندتهم.

على الرغم من أن الدراسة قد أجابت عن سؤالى المبدئى، فإن البحث الذى قمت به قد أثار عددًا من الحقائق الإضافية. فهم هذه الحقائق يجعلنى أدرك أن معظمنا فى العالم الإسلامى نعلم القليل للغاية عن المجتمع الأمريكى والنظام الذى يعمل فى إطاره. يعتمد فهمنا للمجتمع، والسياسة والحكومة الأمريكية ـ فى معظمه ـ على

(*) جاء أيضا البابا پول الثانى ضمن أولئك الستة ـ المترجمة.

(**) فى الحقيقة، ولاية أوهايو التى حسمت أصواتها فى النهاية المعركة لصالح چورج دبليو بوش، هى من أفقر الولايات، وأعلاها فى نسبة البطالة ـ المترجمة.

وسائل الإعلام الغربية (والأمريكية بشكل خاص) التى تقدم تقارير عن الأحداث والتطورات من وجهة نظرها المحلية والقومية. من ثم، ففى الكثير من المرات تتجاهل تلك الأبعاد التى ليست مهمة بالنسبة لهم، ولكنها قد تكون مفيدة لنا. وفى مرات أخرى يظل تركيزنا فى العالم الإسلامى، حتى حينما نتابع التطورات فى الولايات المتحدة، محصوراً بشكل عام فى القضايا التى تهمنا ـ القضية الفلسطينية والمعونة الأمريكية والعقوبات الاقتصادية.. إلخ. بهذه المعرفة الضئيلة، نحاول أن نحكم على أمريكا، وحينما نحاول فعل ذلك، فإن الكثيرين منا يجدون أن استخدام إطار نظرية المؤامرة من الأمور المساعدة بشكل طبيعى. ومن ثم، فإن الصورة النهائية لأمريكا التى تنشأ فى أذهاننا هى صورة مشوهة ومحبطة على نحو بعيد. قد نتصور أحياناً أن الحكومة الأمريكية تعمل بالطريقة ذاتها التى تعمل بها الكثير من الحكومات فى العالم الإسلامى. ولهذا، يكون لدينا فكرة مضللة تفيد بأن الحكومة الأمريكية تدار بواسطة الرئيس وحده، وأنه مثل حال معظم الحكّام المسلمين، له السلطة المطلقة لعمل أى شىء يرغب فيه. الحقيقة، على الرغم من ذلك، هى العكس تماماً. الولايات المتحدة هى ديمقراطية ليبرالية قائمة على مبادئ الفصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، ومتمتعة بوسائل إعلام مستقلة، تلعب دورا نشطا للغاية كحارس للمجتمع. الرئيس الأمريكى هو أكثر الشخصيات العامة التى يتم مراقبتها عن قرب، وحتى أدق التفاصيل فى حياته الشخصية تصبح من الأمور العامة فى الحال ويمكن أن يساءل عنها.

لا يمتلك الرئيس سلطات مطلقة فى المسائل المتعلقة بالسياسات العامة والخارجية، ويعتمد على تأييد الكونجرس فيما يتعلق بتلك القضايا. يراقب الزعماء السياسيون الأمريكيون بشكل مستمر اتجاهات الرأى العام ومزاج الجماهير حينما يقومون بصنع القرارات ـ حتى فى أكثر المجالات الدنيوية. يتضح هذا من حقيقة أنه خلال عقدى الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، حينما التزم الناس بشكل صارم بالفصل بين الكنيسة والدولة، أبقى الرؤساء طقوسهم وهويتهم المبنية على أساس دينى لأنفسهم. ولهذا انزعج ترومان من تصرف بيلى جراهام الذى قام بالصلاة فى الحديقة فى البيت الأبيض. على الرغم من ذلك، فى وقت لاحق ومع تغير المزاج العام فى

البلاد بسبب النفوذ المتنامى للأصوليين المسيحيين، بدأ الزعماء الشعبيون يعبرون بشكل بطىء عن ديانتهم. لدرجة أنه حينما كان چورچ بوش يستعد لخوض الانتخابات الرئاسية، أعلن أنه كان يستجيب لاستدعاء إلهى. ولهذا، فإن صنع القرار فى الولايات المتحدة (سواء بواسطة الرئيس أو بواسطة الكونجرس) يعتمد بشكل كامل على الرأى العام. تظهر الدراسة أن الأصوليين المسيحيين، الذين كانوا فى البدء أقلية وعانوا من المهانة فى محاكمة سكوپس، لم يتمتعوا بدعم وسائل الإعلام الأمريكية ولا تعاطف المجتمع الأوسع. لقد كان لديهم مشكلة فى الصورة الذهنية فى فترة ما بعد محاكمة سكوپس. من وجهة نظرهم كان لهم قضية أصيلة، ولكنهم أدركوا أن قضيتهم لا يمكن الوصول إليها إلا إذا كان الرأى العام يقف فى صفهم. ومن ثم، قاموا بتطوير استراتيچية استهدفت الرأى العام الأمريكى. وبمجرد أن تحول الرأى العام إلى صالحهم، بدأت وسائل الإعلام أيضًا فى منحهم الاعتراف الواجب. وفى هذا الصدد ينبغى أن يتذكر المرء أنهم عملوا فى سبيل كسب الرأى العام، على كل من المستويين المحلى والقومى، مع تركيز أكبر على المستوى المحلى. حتى قبل الحادى عشر من سبتمبر، كانت المشكلة الأساسية بين العالم الإسلامى والولايات المتحدة هى صورة العالم الإسلامى بشكل عام فى الغرب، وفى أمريكا بشكل خاص. لم يفهم العالم الإسلامى بأى شكل يذكر، طبيعة ودور الرأى العام الأمريكى فى التأثير على السياسات الأمريكية، سواء داخليًا أو خارجيًا. لقد تعاملت الحكومات الإسلامية مع الإدارات الأمريكية مع ندرة أى جهد أو خطة متسقة وطويلة الأجل للوصول إلى رجل الشارع الأمريكى فى «الشارع الرئيسى»(٤١٨)(*). لو كان للمسلمين (سواء داخل أو خارج الولايات المتحدة) أن يتعلموا درسًا مفيدًا واحدًا من هذه الدراسة للحركة الأصولية المسيحية الأمريكية، فإنه أهمية دور الرأى العام الأمريكى. لقد تأخر الوقت طويلاً قبل أن يقوم الأمريكيون المسلمون والحكومات الإسلامية، والزعماء والمفكرون ووسائل الإعلام، بالتركيز بشكل جاد على إمداد الرأى العام الأمريكى بالمعلومات،

(*) «الشارع الرئيسى» هو تعبير أمريكى شائع يستخدم للدلالة على الديناميات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية يوميًا فى المجتمع الأمريكى، تلك التى تجعل عامة الناس فى اتصال بعضهم مع بعض. وبهذا التفاعل الجماعى، وتبادل الأفكار بين المثقفين، والجماهير، والقيادة المحلية، من خلال وسائل الإعلام، والمنظمات غير الحكومية، ومؤسسات الترفيه، يتشكل الرأى العام الذى يؤثر على قرارات الحكومة وسياساتها ـ المترجمة.

وتعليمه ومحاولة الفوز به. حتى حينما يتعاطف رئيس أمريكى ما مع قضايا قريبة إلى وجدان المسلمين، فلن يستطيع فعل الكثير إذا لم يتفق الرأى العام مع وجهة نظره.

أثارت هذه الدراسة عددًا من الحقائق الإضافية أيضًا. تلهمنا هذه الحقائق سؤالين منطقيين، تعد الإجابة عنهما ضرورية لختام هذه المرحلة الأولى من دراسة الحركة الأصولية المسيحية المعاصرة فى الولايات المتحدة:

١ ـ لماذا تنتشر الأصولية الدينية فى الولايات المتحدة، والتى تعد اقتصاديًا وعلميًا، أكثر الدول تقدمًا فى تاريخ الإنسانية المعروف برمته؟

٢ ـ كيف أفلحت الحركة الأصولية المسيحية فى الوصول لهذا المستوى من النجاح فى مجتمع لديه فصل محدد وواضح بين الكنيسة والدولة؟

فى محاولتنا للإجابة عن السؤال الأول سوف نميز بين أمرين:

(أ) وجود طرق أصولية فى التفكير فى مجتمع ما.

(ب) ومدى انتشار الأصولية فى ذلك المجتمع.

يتجلى موقفنا فى أن وجود طريقة أصولية فى التفكير هو أمر ضرورى، ولكنه ليس بكاف حتى تكتسب الأصولية تأثيرًا واسع المدى فى مجتمع ما. فى حقيقة الأمر طالما بقى البشر ككائنات مفكرة يتمتعون بحرية الاختيار فيما يتعلق بمعتقداتهم وتأويل تلك المعتقدات فهناك إمكانية كبيرة أنه سيظل هناك دومًا بعض الناس فى كل مجتمع ممن لهم فهم أصولى لمعتقداتهم. ولهذا، فقد يتعاملون مع حياتهم والعالم من حولهم من وجهة النظر تلك. من أجل أن تكون أصوليًا، فإنه ليس مطلوبًا منك أن تنتمى لديانة ما. قد يكون المرء ملحدًا أو اشتراكيًا وقد يفسر أيديولوچيته (الإلحاد ـ أو الاشتراكية) بسلوك أصولى، ويعمل وفقًا لذلك. فى الحقيقة، الأصولية هى طريقة فى التفكير تدفع الناس لتفسير العالم من حولهم بطريقة معينة وبناء كل العلاقات وفقًا لذلك. ولهذا، فإن وجود طريقة أصولية للتفكير بين بعض أعضاء مجتمع ما لا تتضمن بشكل فورى انتشار الأصولية عبر هذا المجتمع برمته. تظهر المراجعة التاريخية للأصولية المسيحية فى الولايات المتحدة أن بداية التصنيع السريع أدت إلى عدد من المشكلات

الاجتماعية. عندما اقترح الاتجاه العام فى الكنائس الحل لتلك المشكلات من خلال الإصلاح الاجتماعى (على سبيل المثال الإنجيل الاجتماعى) لم يوافق الأصوليون، وجادلوا بأن الطريقة الوحيدة لحل تلك المشكلات هى من خلال الورع الشخصى، وهى نتيجة لجهود من أجل الخلاص الشخصى. أدى عدم الاتفاق هذا إلى انشقاق فى البروتستانتية الأمريكية؛ حيث ترك الأصوليون الكنائس ذات الاتجاه السائد وأسسوا كنائسهم الخاصة.

ظلت الجماعات الأصولية ـ حتى بعد الانفصال عن كنائس التيار الرئيسى ـ على المحيط الخارجى ـ فلم تكن الأصولية قادرة على التأثير على المجتمع الأوسع. لم تكن قوتهم العددية ذات ثقل، ولم يكونوا منظمين بشكل لائق، كمجموعة متماسكة على أساس يشمل كل الولايات. ولهذا فإن وجودهم لم يكن له شأن كبير. ولأنهم كانوا غير قادرين على التأثير فى النظام، فقد بدا لفترة ما أنهم كانوا مجرد متمردين لهم فقط قضية وليس أكثر من ذلك. ساعدت ثلاثة أمور على تغيير هذه المعادلة. أولاً، خلقت الهزائم المتتالية فى المعارك القضائية (فى الفصل العنصرى، الإجهاض، والصلاة فى المدارس.. إلخ) لديهم إحساسًا بأنهم ضحية طغيان الأغلبية. ثانيًا: مكنهم تأسيس المؤسسات التعليمية الأصولية، واستخدام الوعّاظ الأصوليين لوسائل الإعلام من تطوير وسيلة للوصول إلى الجماهير بطريقة أكثر نظامية وتنظيمًا من أجل أن يذكروهم بشكل مستمر بالاضطهاد الذى شهدوه وأهمية تنظيمهم وتفعيلهم ضده. النظام القضائى الأمريكى مبنى بشكل مشترك بواسطة فرعى الحكومة التنفيذى والتشريعى؛ لأن الهيئة التنفيذية ترشح القضاة، وتصدق الهيئة التشريعية (أو لا تصدق) على المرشحين. يرى الأصوليون النظام القضائى بوصفه السبب الأساسى فى كل أوجه الظلم التى وقعت عليهم. وبالتالى، تكونت صرخة المعركة بالنسبة للأصوليين من مطالب لتعيين القضاة المحافظين. ولكن التعيينات القضائية هى نتيجة فرعية للنظام السياسى القائم. ولهذا، فقد كان الطريق الوحيد أمامهم للوصول إلى هذا الهدف هو الدخول فى عالم السياسة وقيادة دفة العملية السياسية بالطريقة المرغوبة. الهدف هو انتخاب هؤلاء المرشحين للفرعين التنفيذى والتشريعى للحكومة بحيث يكونون محافظين وملتزمين بدعم وتنفيذ الأجندة الأصولية بمجرد أن يتم انتخابهم. ولهذا،

كان يتم اختيار المرشحين بشكل دقيق على أساس سجلاتهم، وكان يتم استهدافهم إما بسبب هزيمتهم، أو يتم تحديدهم من أجل دعمهم على أساس تلك المعايير والتزامهم بالأجندة الأصولية. الهدف الآخر هو تعليم الجماهير بشأن الأخطار المحتملة لعدم التصويت للمرشحين المحافظين المختارين للدعم، وأيضًا كيفية توسيع بنك الأصوات الانتخابية بواسطة إضافة المتحولين الجدد إلى كتيبة المؤمنين الذين يناضلون بالفعل فى جبهة المعركة. تم ذلك من خلال التعليم، المستمر وتلقين الجماهير الأيديولوچية الأصولية من خلال شبكة كهنوتية عن بعد ومن خلال الاشتراك المستمر والمنتظم فى القضايا والمناقشات على مختلف المستويات المحلية والإقليمية ـ نوع من الاشتباك المبدئى بالعدوالحقيقى من خلال المناوشات الحدودية قبل المعركة الحقيقية (على سبيل المثال قضية على المستوى المحلى) ـ كنوع من الإحماء، إذا جاز القول. فى بعض الأحيان كانت الزعامة الأصولية تبدأ تلك المناوشات، من خلال اتخاذ الوضع الهجومى فى قضية مستهدفة فقط لرفع درجة حرارة الغضب بين هؤلاء المؤمنين المتعطلين المتعاطفين مع القضايا الأصولية، ولكنهم غير مظهرين لأى حس من المسئولية تجاهها ولا لأى دعم حقيقى.

كان الأمر الثالث الذى غيّر من تلك المعادلة وساهم فى انتشار الأصولية المسيحية فى الجنوب، هو الأحوال الاقتصادية ـ الاجتماعية للجماهير العامة فى ذلك الجزء من البلاد. يمكن التحدث عن هذا الوضع بلا نهاية، وبشكل خاص عن العلاقة بين الأصولية وإحساس الظلم والحرمان الاقتصادى. لقد هزم الجنوب من قبل الشمال إبان الحرب الأهلية فى قضية العبودية، وأصبح متخلفًا اقتصاديًا عن الشمال منذ ذلك الحين. ولهذا، كانت هناك جدلية التفاوت الاقتصادى التى عجلت أكثر من سرعة انتشار الأصولية، من خلال الخلق السريع للمجتمعات المتنامية فى الجنوب التى كانت تعانى إما من الفقر المدقع أوكان لديهم شعور بالفقر النسبى. كان الفقر هو سبب تخلفهم التعليمى، وهو ما منعهم من استغلالهم للفرص المتاحة فى أرض الوفرة. النتيجة التراكمية وراء كل ذلك هى تضاعف المشكلات الاجتماعية كما ناقشناها فى الفصل الثامن. ولكل تلك الأسباب رغب الجنوبيون فى الانضمام لهؤلاء الذين يريدون بشكل فعّال أن يغيروا الوضع الراهن للأفضل. يظهر تاريخ واقتصاد الجنوب أنه أرض خصبة للحركة الأصولية المسيحية.

إن أبناء وبنات الجنوب لديهم الرغبة فى المشاركة الفعالة فى الصراع الذى سيمكنهم فى النهاية من التغلب على مشاكلهم الاقتصادية ـ الاجتماعية، كما أنه سيساعدهم أيضًا على استعادة دورهم ووضعهم الذى يستحقونه، والذى تعرض للخطر فى فترة الحرب الأهلية. يمنح إلحاح تلك المشكلات الاجتماعية الفرصة للزعماء الأصوليين لإبراز قضية القيم والأخلاقيات والدين كدواء عام لكل الأمراض الاجتماعية. يستخدم التأكيد على القيم إذن فى تعبئة الناس فى الجنوب للتوحد ضد هؤلاء الذين لا يعتبرون هذه القيم «حلولاً للمشاكل» ولكنهم بالأحرى يؤمنون بنموذج «الإنجيل الاجتماعى». ولهذا فإن هذا الاختلاف فى الرؤى والسياسات يفصل ما بين المجموعتين خالقًا حالة، يمكن أن تسمى طبقًا للنموذج الماركسى ـ اللينينى ـ الهنتنجتونى «صدامًا». ومن ثم فإن هذا الصدام ينبع من «أمريكتين» كقطبين منفصلين، حيث إن كلاً منهما تريد أن تتخذ طريقها ـ والاثنان يأملان فى التحكم بالسلطة السياسية. واستخدامًا لنموذج الماركسية ـ اللينينية ـ الهنتنجتونية، نشير مرة أخرى إلى النموذج المفضل لهنتنجتون القائم على منهجية لينين التالية والخاصة ببنى القوى الاجتماعية. وبتطبيق هذه المنهجية، يمكن فقط للمرء أن يعيد ترتيب بيان هنتنجتون فى المشهد السياسى الأمريكى المعاصر، وإعادة صياغة بيان هنتنجتون من خلال القول بأن أسباب الصراع المتجدد بين الأصوليين المسيحيين والأمريكيين غير الأصوليين:

«تكمن فى مسألتين أساسيتين هما السلطة والثقافة Kto? Kovo?. من يحكم؟ ومن يُحَكم؟ القضية المحورية المتعلقة بالسياسة والتى حددها لينين هى جذور الصراع بين...»[٤١٩].

يقود استخدام منهجية الماركسية ـ اللينينية ـ الهنتنجتونية فى التحليل المرء، فى التراث الهنتنجتونى؛ لأن يصل لاستنتاج بأن هناك أمريكتين، وبأن هناك «صراعًا» بين بعضهما البعض. وكما حدث فى الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠م، كانت المعركة بين المرشحين قريبة للغاية، ولهذا فمن المحتمل أن بعض الأيديولوچيين قد يغريهم هذا الحال باستغلال الوضع الجارى. على الرغم من ذلك، وبقدر ما يمثل لنا الأمر من أهمية، فإننا كمسلمين لا نتفق مع فكرة وجود «أمريكتين»، أو«الصدام» بينهما. قد

يفعل ذلك فقط هؤلاء الذين لديهم سوء نية لإشعال صراع وتصعيده لكى يصل إلى مستوى الصدام، مثلما فعل السيد هنتنجتون من خلال دفاعه عن صراع الحضارات. يتمثل موقفنا فى اعتبار السيناريو الأمريكى المعاصر مرحلة منطقية فى العملية الطبيعية للتطور الخلاق للمجتمع الأمريكى. من وجهة نظرنا، يعتبر التطور الخلاق ظاهرة إيجابية حيث إنها تمثل عكس ما يقول به التطور القاسى الداروينى القائم على الانتخاب الطبيعى. التطور الخلاق له مظهران أساسيان، تحديداً: مضمونه وتقدمه. الخصائص الأساسية لمكون المضمون هى كالتالى: يتضمن التطور الخلاق التعلم الإنسانى من خلال الإرشاد الإلهى، والتجربة الإنسانية، والمعرفة والتعليم والاكتشاف، تلك الخبرات المتراكمة خلال الأجيال عبر آلاف السنين، والناجمة عن تراكم القوة الفكرية والعلمية الحيوية والحكمة وإبداع الحياة والعقل، مدعمة قدرتنا الفردية والجماعية على حل المشاكل فى التحليل النهائى(٤٢٠).

لقد تم إبراز بعض المظاهر الرئيسية لعملية التطور الخلاق على النحو التالى: التطور الخلاق هو عملية يسعى إليها فى مجتمع/ حضارة بسبب وجود رؤى مختلفة/ متصارعة (فى مختلف القضايا / المشاكل) لتحديد الوسائل الملائمة لحل المشاكل الموجودة (أو المنظورة) بأسلوب سلمى. ومن أجل حل تلك القضايا بشكل سلمى، فإنه يسمح لكل الأطراف المشتركة بتبادل وجهات النظر، وأن تتفاعل مع بعضها البعض بأسلوب سلمى، وإن كان ضروريًا تُذاع مناظرات علنية، لتعليم، ومن ثم تحكيم الرأى العام، الذى يعد الحكم النهائى. يؤدى هذا إلى اشتباك بناء حيث يولد حلاً مقبولاً من كلا الطرفين. إحدى النتائج الملموسة لنجاح التطور الخلاق هى تأسيس وتطوير وتنمية شبكة من المؤسسات التى تنتج بشكل جماعى آلية سلمية لحل الصراع. على الرغم من الاختلافات بين الجماعات المتعددة، ستكون تلك المؤسسات مقبولة من قبل الجميع، حيث إنها ستكون مناسبة لمواجهة احتياجات المجتمع المتغيرة دومًا. فحرية الفكر والتعبير، والتسامح بشأن الرؤى المختلفة، هى الشروط المسبقة لمناخ موات للتطور الخلاق.

قد يكون هناك آراء متنافرة (داخل مجتمع/ حضارة أو بين حضارتين) بالنسبة لقضية ما. إذا استخدمت الأطراف المتضمنة حرية التعبير للترويج لآرائها وإشراك

المجتمع فى جدال بوجهة نظر مسبقة تهدف لإقناع الجماهير/ العالم برأيها حتى تقرر فى النهاية من بين كل الاختيارات المتاحة، إذن ستكون النتيجة الطبيعية متسقة مع روح المبادئ الديمقراطية. الروح الديمقراطية هى أساس عملية التطور الخلاق. فى حالة تعطل المبادئ الديمقراطية، قد تظل الآراء المتنافرة ولكن عملية مخاطبة تلك الآراء المتنافرة لن تعد تطوراً خلاقًا، بدلاً من ذلك ستسمى قمعًا أو اضطهاداً أو ثورة أوربما صداماً. تبرز مثل هذه الحالة حينما يكون هناك طرف أقوى (حيث تكون قوته حقيقية أو متصورة أو متخيلة)، ولأنها تعرف أنها لا يمكن أن تتجاوز الأعراف المقبولة عالميًا، والخاصة بالمبادئ الديمقراطية ومطالب العدالة، فإنها تستخدم نفوذها وقوتها لوقف سير عملية التطور الخلاق. إذا ما نجح القمع فى تحطيم عملية التطور الخلاق، فقد تبدأ عملية انحدار هذا المجتمع أو هذه الحضارة. وحيث يبدأ انحدار المجتمع/ الحضارة المذكورة بسبب استخدام القامعين للقوة، فإن هناك خطراً بأنه مع الفشل فى الوصول إلى أى مساعدة ذات أهمية من المؤسسات القائمة (المحلية/ الدولية)، (مثل الهيئة القضائية أو الأمم المتحدة.. إلخ) فإن المقموعين قد يلجأون أيضًا إلى استخدام القوة ضد من قاموا بقمعهم. تولد هذه الحالة ثقافة العنف والعنف المضاد. إن الطريقة الوحيدة للتغلب على هذه الثقافة هى استعادة عملية التطور الخلاق والتى تتطلب تعهداً والتزامًا صارمًا بالمبادئ الديمقراطية سواء بالمعنى الحرفى أو الروحانى.

فى سياق الولايات المتحدة، تعلم كل من الأصوليين المسيحيين و«الآخر» شيئًا ما من تجاربه ومن فهم «الحقيقة»، وهو يبذل جهداً للوصول تدريجيًا إلى توليفة ضمن إطار الديمقراطية الليبرالية الأمريكية. لهذا، وعلى هذا الأساس نحن نرفض فكرة «الأمريكتين» و«صدامهما» على الرغم من صراع القوى فى انتخابات الولايات المتحدة على السؤالين «من الذى يقوم بالحكم؟ ومن هو المحكوم؟»[٤٢١]. ولهذا ففى عنوان هذا الفصل وضعنا كلمة صدام بين قوسين لتحديد أنه فقط المنهجية الخاطئة (الماركسية ـ اللينينية ـ الهنتنجتونية) هى التى سوف تصنف الاختلافات بين الناس (سواء من المجتمع/ الحضارة ذاتها أومجتمعات/ حضارات مختلفة) بوصفها «صداما». نحن نتعامل، من الناحية الأخرى مع الأمر بوصفه تطوراً خلاقًا. وإنه ـ بالتحديد ـ على هذا

الأساس العلمى، نرفض أيضًا الفكرة القائمة على المنهجية الماركسية ـ اللينينية ـ الهنتنجتونية الخاصة بصراع الحضارات.

فى الواقع، اتسع التفاعل المتسارع بين الحضارات فى كل مناحى الحياة، بسبب التقدم فى العلوم والتكنولوچيا، ووسائل الاتصال والعولمة السريعة، ولهذا يمكن أن تستغل الاختلافات (سواء فى القيم أو وجهات النظر فى مختلف القضايا) بسهولة من قبل هؤلاء الذين يرون مكسبهم فى خلق الصراعات بين المجتمعات والحضارات. فهؤلاء الذين لديهم مثل هذه الأجندة يستخدمون المنهجية السابقة ويرفعون فى الحال شعار «الصدام» و«التحريض» ضد «الآخرين»[٤٢٢].

من ناحية، تفعل القوى التى تستفيد من صدام الحضارتين الإسلامية والغربية ما فى وسعها لإشعال وتوسيع دائرة النيران التى بدأت مع أحداث الحادى عشر من سبتمبر وتنتوى أن تجعل من هذه النيران حريقًا مدمرًا. على الجانب الآخر، فإن نظرتنا الحذرة ترى أنه، بشكل بطىء، تظهر بالفعل دلائل فهم أفضل تدريجيًا بين الحضارة الإسلامية والغرب، بشكل عام، وبين الولايات المتحدة بشكل خاص. يمكننى ضرب العديد من الأمثلة فى هذا الصدد، ولكنى سوف ألفت انتباه القارئ إلى بعض الأمثلة القليلة المختارة ـ ولكن تلك الأمثلة القليلة هى التى تتوافر فيها القوة لتعجيل مسيرة سفينة الحضارة الإنسانية، والتى تهتز حاليًا بسبب عواصف الكراهية والانتقام. وفيما يلى هذه الأمثلة:

إدانة وزير الخارجية كولن پاول لكلمات چيرى فالويل الكريهة ضد النبى محمد ﷺ فى CBS فى مقابلة تليفزيونية أذيعت فى أكتوبر ٢٠٠٤م.

١ ـ ما تلاه من اعتذار چيرى فالويل.

٢ ـ القرار الأخير الذى أصدره الرئيس چورچ بوش طواعية ومن جانب واحد بعدم استخدام كلمة «الحرب الصليبية» عند تذكر رسالة الچنرال أيزنهاور للقوات المتحالفة. «... قبل بداية غزو نورماندى، فرنسا، منذ ستين عامًا»[٤٢٣].

كان الرئيس بوش يلقى خطاب حفل التخريج لدفعة من ضباط القوات الجوية، حينما تذكر رسالة الچنرال أيزنهاور، ولكنه احترامًا للمسلمين والإسلام، تعمد أن

يلغى كلمة «الحرب الصليبية» والتى يعدها المسلمون «. . . إشارة مثيرة للمشاعر. .»[٤٢٤].

٣ ـ دفع إدارة بوش للديمقراطية فى العالم الإسلامى. قد لا يتفق المرء مع الطريقة التى قدمت ونفذت بها هذه الفكرة من قبل إدارة بوش، ولكن ما نراه هو انعكاس لمبدأ ساد السياسة الأمريكية باتجاه العالم الإسلامى لفترة طويلة، منذ أن حصلت الدول الإسلامية على استقلالها. من وجهة نظرنا، التى تدعم الديمقراطية، فتحت إدارة بوش فرصة طال انتظارها للمفكرين المسلمين للدخول فى حوار ذى مغزى مع الغرب وبشكل خاص مع الولايات المتحدة، لتحديد مسار مجد للعمل من أجل الوصول لنتائج طويلة الأجل فى هذا الصدد. فى الحقيقة، أنها ليستْ فقط فرصة، ولكنها دعوة لحوار حضارى متبادل. السؤال الوحيد هو هل يمكننا أن ننظم هذا الأمر من أجل تطوير إطار عمل بناء نستطيع فيه تجميع دعم الجماهير من كلتا الحضارتين بطريقة تخدم مصالحنا المتبادلة؟ علينا أيضًا أن نتأكد من أن هذه الدعوة لن ينتهى بها الحال لتكون مجرد تحرك جمهورى، ولكن أن تصبح بدلاً من ذلك التزامًا ممثلاً لحزبين فى المخطط الأكبر للسياسة الأمريكية.

السؤال الآن هو: هل سيتلقى المفكرين المسلمين الإشارة، ويجمعون الشتات لإعادة بناء ما قد تهدم؟ بالطبع هناك الكثير من القضايا والمجالات والاهتمامات تشكل أهمية بالنسبة للمسلمين لم يتم تناولها، ولكن السؤال هو: إلى أين ننطلق من هذه اللحظة؟ هل سننشغل بتوسيع الفجوة، أم ندعم تلك التحركات التى تساعد فى سد الفجوة؟ إذا ما بدأنا بسد الفجوة، فإن الثقة ستبنى على كلا الجانبين، وسوف تخلق إمكانيات لتحقيق الأكثر من ذلك وسوف يتم استغلالها. سواء كان الأمر يتعلق بالعالم الإسلامى بشكل عام، أو المجتمع الإسلامى فى أمريكا الشمالية، فينبغى أن نتعلم من تجربة الحركة الأصولية المسيحية الأمريكية أنه ما لم يقم الرأى العام الأمريكى بمنح أفضلية لقضية ما، فلا البيت الأبيض ولا الكونجرس يمكنهما أن يحركا القضية، مهما كانت أهميتها. وهناك مثال جيد فى هذا الصدد وهو فشل الكونجرس فى دعم عصبة الأمم. ولكن بمجرد أن قام الشعب الأمريكى بتفضيل شىء ما، فإن، كلا الفرعين التنفيذى والتشريعى سوف يتراجع عن مواقفه للالتزام بالموقف الشعبى. ولكن علينا أن نتعلم أن فن التعامل مع الرأى العام الأمريكى له شرطان مسبقان:

١ ـ ينبغى علينا أن نفهم كيف تعمل الديمقراطية الليبرالية الأمريكية.

٢ ـ ينبغى علينا نحن أنفسنا أن نحب وأن نعيش الديمقراطية، حيث إنها المكون الأساسى للتطور الخلاق. دون أن نعيش فى إطار النظام، لن نعرف أبدًا كيف يعمل. بسبب غياب الديمقراطية فى أغلب مجتمعاتنا، نحن لا نستطيع أن نتعلم كيف تعمل، ولن نكون قادرين أبدًا على التعامل مع قوة عظمى ديمقراطية. الديمقراطية هى مرحلة مهمة فى العملية الطبيعية للتطور الخلاق، وهؤلاء الذين ينكرونها ينكرون تحقيق إمكاناتهم الذاتية وسيتخلفون إلى حيث يظلون يعانون من الضعف. والضعف هو دعوة لكى يقوم الآخرون باستغلالك. يمكن فهم قضية الأصولية المسيحية من خلال السياق ذاته. بسبب نقص الديمقراطية، لم نطور منهجية دراستها وتحليل وجهة نظرها، والاتصال بها بشكل مباشر بلغة يمكن أن يفهمها كلانا لنتشارك فى اهتماماتنا ونجد طرقا للتعاون فى مجالات المصالح المشتركة لتحقيق السلام العالمى. أدى هذا النقص الكامل فى الاتصال المباشر إلى جهل كلا الطرفين، والذى خلق بدوره الشك، مما أدى إلى أبعد من ذلك: خوف كل طرف من الآخر. جعل هذا الخوف كل طرف يتخذ أفعالاً (بوعى أو بلا وعى) أدت إلى تجارب كريهة. استغل تلك التجارب الكريهة أصحاب المصلحة من وراء خلق الكراهية ـ الذى أدى إلى الصراع وفى النهاية تضاعف فى شكل صدام. أغرى هذا الخوف، بالإضافة إلى الضعف العام، والفقر العام، والجهل العام وعدم الاستقرار، فى العالم الإسلامى، الأصوليين المسيحيين لأن ينظروا إلى المجتمعات الإسلامية كفرص محتملة لحملاتهم التبشيرية حيث يمكن إنقاذ السكان المسلمين من ورطتهم.

إن الاختيار الآن لنا: هل نريد أن ننقذ أنفسنا أم هل ينبغى أن يأتى الآخرون لإنقاذنا؟ إذا أردنا أن ننقذ أنفسنا فإن علينا إذن أن نتخلى عن الفساد واستغلال السلطة والظلم، وأن نعزز الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية والرفاهية الاقتصادية لجماهيرنا ـ إن الطريق للوصول لكل ذلك هو من خلال الديمقراطية. بدلاً من لوم الآخرين الذين يحاولون إنقاذنا (بطرقهم الخاصة ولأهدافهم الخاصة) من البؤس الذى جلبناه على أنفسنا، ينبغى أن نسأل أنفسنا ما الأخطاء التى ارتكبناها والتى أدت بنا إلى هذا الانحطاط لدرجة أن وجود حضارتنا ذاته أصبح يتعرض للخطر؟. إننا نفهم بشكل

كامل مثل تلك الجوانب الغامضة لرغبة أصحاب الديانات الأخرى وشعورهم أن الوقت قد حان لأن يحولوا - إن لم يكن نحن ، فالأجيال القادمة - إلى الديانة المسيحية من أجل إنقاذنا . ولهذا، فإننا إن لم نقم بترتيب البيت من الداخل فى الحال، فإن الدلائل تشير إلى أن مستقبل المسلمين سوف تحدده كفاءة الأمريكيين الإيڤانجليكيين فى عملهم التبشيرى . قد أبدو قاسيًا هنا، ولكن ينبغى أن أكون كذلك؛ حيث إننا فى غفلة عميقة، أدت إلى تخلف التطور الخلاق لحضارتنا . قد لا يريد الكثيرون منا قبول هذه الحقيقة القبيحة، ولكن الحقيقة هى أن ما أقوله ليس بعيدًا عن الحقيقة .

يمكننا الآن أن نوجه السؤال الثانى، تحديدًا : كيف استطاعت الحركة الأصولية المسيحية أن تحقق هذا المستوى من النجاح فى مجتمع لديه فصل محدد واضح بين الكنيسة والدولة؟

كانت القيادة الأصولية المسيحية فى الولايات المتحدة، على ما يبدو، واعية تمامًا بهذه العقبة الدستورية . وعلى الرغم من ذلك، كانوا على وعى أيضًا بأن الولايات المتحدة من الناحية الدستورية هى ديمقراطية ليبرالية، حيث إرادة الشعب هى المتحكم الأعلى فى الأمور . وهكذا، فقد طوروا استراتيچية تراعى المبدأ والشكل، وتجنبوا أية صيغة يمكن الاعتراض عليها لعدم دستوريتها . لقد طوروا استراتيجية يمكن أن تحقق النتائج المرجوة دون أن تظهر بأنها تخلط بين الدين والسياسة . فيما يلى بعض الخطوات المهمة التى اتخذوها فى هذا الصدد :

١ - لم يشكلوا حزبا سياسيًا مستغلين المسيحية كأساس ومصدر تشريع له أو منبع لصنع سياسة .

٢ - لقد أرادوا تشريعًا يقوم على تعاليم ومبادئ الكتاب المقدس، ولكن على عكس الأحزاب السياسية الإسلامية فى الدول الإسلامية التى تقوم بحملات منادية بصوت عال بتطبيق الشريعة الإسلامية روحًا وشكلاً، طالب الأصوليون المسيحيون بتشريع ليس على أساس قوانين الكتاب المقدس ولكن على أساس مبادئ «الأخلاق» (فقط انظر كيف اختارت الحركة اسم «الأغلبية الأخلاقية» كاسم لها) . لقد قاموا بتعريف المشاكل الاجتماعية وربطوا حلها بمبادئ وقوانين الكتاب المقدس التى تم مساواتها فى ذلك الوقت بالأخلاق لكى يكون الأمر متكيفًا مع مبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة .

على سبيل المثال، مبادئ الكتاب المقدس فى الاحتفاء بالحياة فى مقابل الإجهاض، وعقوبة الإعدام القائمة على مبدأ «العين بالعين» المستقى من الكتاب المقدس. . إلخ.

على الرغم من أن هذا النوع من التشريع مأخوذ من تعاليم الكتاب المقدس، فإن الجماعات الأصولية لا تستخدم أبدًا عبارة «تشريع الكتاب المقدس». على الجانب الآخر، فى الدول الإسلامية، هناك مطلب شامل من جانب الأحزاب الإسلامية لتطبيق الشريعة، ولهذا فهم يواجهون الانتقاد والقلق [بل والرفض] من جانب بعض الجماعات.

لقد خاض الأصوليون المسيحيون أيضًا غمار معركة لتفكيك أية عوائق قد تسبب الفرقة بين صفوف أتباعهم؛ لأن هناك غالبًا عددا غير محدود من الكنائس (على سبيل المثال الفرق بين البروتستانت والتى تختلف الواحدة عن الأخرى فى قضية أو أخرى). لقد قاموا من أجل ضمان أن ذلك الاختلاف قد تم إضعافه وتقليله إلى حده الأدنى، بإرساء دعائم منتديات غير طائفية وأنشطة جمعت كل الجماعات المهتمة للعمل فى قضايا مشتركة، وبذلك دعمت الوحدة داخل التنوع. إن أحد العوامل التى لعبت دورًا فعالاً فى تدعيم الوحدة بين هذا المدى الواسع من الطوائف البروتستانتية هو الاعتقاد بأن كل فرد له الحق فى تفسير الكتاب المقدس. مكن هذا الاعتقاد كل طائفة من احترام الطوائف الأخرى، وأدى ذلك إلى وجود درجة عالية من التسامح والتعددية والتعاون والعمل كفريق واحد بينهم.

يعرف الأصوليون، بشكل عام، عبر الأديان بعدم تسامحهم مع الآخر، وميلهم إما للانسحاب من أو حرمان هؤلاء الذين لا يتفقون معهم فى الرأى من الانتماء للكنيسة. لدى الأصوليين المسيحيين الأمريكيين، من البروتستانت بشكل رئيسى، أيضًا هذه المشكلة. تاريخيًا، لم يواجهوا اليهود أو الكاثوليك بشكل مباشر. على الرغم من ذلك، فإن فهمهم لعمل النظام الديمقراطى جعلهم يدركون أن أصوات اليهود والكاثوليك الانتخابية لا «تلوث» أصوات البروتستانت داخل صندوق الاقتراع ولا الإيمان البروتستانتى خارج صناديق الاقتراع. جعلهم هذا الإدراك يشكلون تحالفات مع اليهود والكاثوليك وأى شخص آخر، طالما أن الآخرين يدعمون الأجندة الأصولية فى تشريع الكتاب المقدس وتقليص برامج الإصلاح المتعلقة بالرفاهية والدفاع

القوى والقضايا المتعلقة بالبيئة، و العمل، وحقوق المرأة. . إلخ. تفتقر القيادة الإسلامية المعاصرة لهذا النضج اللازم لكى تتغلب على الانقسام الطائفى فى كل من المجتمعات الإسلامية المنفردة وفى الحضارة الإسلامية بشكل أعم. يشير نقص التعاون ـ ذى المغزى ـ بين المسلمين بسبب الانقسام الطائفى، إلى النقص الحاد فى التطور الخلاق فى الحضارة الإسلامية. ينعكس ذلك أيضًا فى مستوى أعلى، فى تفرق الدول الإسلامية، وعدم فعالية منظمة المؤتمر الإسلامى فى العديد من المجالات

تظهر هذه الدراسة أيضًا أن انتشار وشعبية الأصولية قد تأثرت بشكل ملحوظ بالأحوال الاقتصادية ـ الاجتماعية، فكلما شعر الناس بأنهم مهملون اقتصاديًا ومضطهدون ومحرومون من حقوقهم وبأنهم ضحايا للظلم، كانوا مستعدين لقبول وامتصاص الفلسفة الأصولية والتفسيرات المتطرفة، لأيديولوچية/ ديانة ما. وعلى عكس المنطق، فإنه أمر غير وثيق الصلة بالموضوع، إذا كانت مشاعر الاضطهاد تلك حقيقية أو متخيلة.

وهناك سؤال متصل بالموضوع وهو: كيف يمكن لإقليم بهذه السعة الجغرافية أن تغلفه موجة الأصولية؟ قبل الأحوال السابقة، إذا شعر سكان إقليم معين (على سبيل المثال الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة) بأنهم ضحايا لظلم تاريخى (هزيمة فى الحرب الأهلية على يد الشمال)، فلا بد أن أغلبية هؤلاء السكان الذين يعتبرون أنفسهم ضحايا لهذا الظلم، سيكونون أكثر انجذابًا للأيديولوچية الأصولية وسيتبعون خطة عملها بشكل أكثر فعالية.

لقد كان ذلك عاملاً مهمًا وراء الشعبية الهائلة للحركة الأصولية المسيحية فى الجزء الجنوبى من الولايات المتحدة، وبشكل خاص بين الولايات الإحدى عشرة التى انفصلت عن الاتحاد وشكلت الولايات الكونفدرالية الأمريكية (CSA).

هزت البلاد فى العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، حينما كان الجنوب يكافح ـ فى محاولته للتغلب على مشاكل وتحديات الفقر المطلق والنسبى ـ للاحتفاظ بهدوئه ـ فضائح الفساد واستغلال السلطة فى أعلى المستويات. أخيرا، وصلت الحالة إلى نقطة لا يمكن التسامح بشأنها بعد ذلك، وخاصة من قبل هؤلاء الذين كانوا يعانون

لفترة طويلة. كان على الوضع الراهن أن يتغير. ولهذا دخل الأصوليون الساحة السياسية فى عقد السبعينيات وأخيرًا تمكنوا من مواكبة جورج دبليو بوش إلى داخل البيت الأبيض فى عام ٢٠٠٠م، الرئيس بوش الذى يشاركهم - بطرق كثيرة - قيمهم وتصوراتهم، وهو ملتزم بالأجندة التى - تقريبًا - تمثل رؤاهم.

يمكن أن نتعلم درسًا هامًا هنا، هذا الدرس ليس هو الإشارة بإصبع الاتهام إلى اليمين المسيحى الأمريكى من خلال القول بأنه يخلط بين الدين والسياسة، ولكن بدلاً من ذلك أن نلاحظ أنه كلما أصبحت المشاكل الاقتصادية - الاجتماعية أمرًا ملحًا و/ أو فساد القيادة الوطنية أمرًا متفشيًا، فإننا نكون وصلنا لمرحلة لا يمكن للجماهير أن تتحمل المزيد، وتصبح غير مستقرة. عند هذه النقطة قد تتحرك بعض الشخصيات الكارزمية للأمام وتنظمهم لتستخدمهم كقوة لإصلاح المجتمع. على الرغم من ذلك، فإن رؤية الحركة الإصلاحية ومهمتها سوف تحددها تلك الشخصيات الكارزمية. نقطة الالتقاء الشائعة، بشكل عام، هى الدين، والأصولية الدينية هى التى تثير وتنشط الجماهير الضجرة. إذا كانت البلاد بها ديمقراطية مؤسسة أصيلة، مثل الولايات المتحدة، فإن الجماهير بإمكانها أن تغير القيادة من خلال صندوق الاقتراع وتقوم بإصلاح النظام. أما إذا كانت البلاد تفتقر إلى مؤسسات ونظام ديمقراطى، وتستمر النخبة الفاسدة الحاكمة فى التلاعب بالنظام لكى تبقى فى السلطة بأى ثمن، فإن الصراعات الخطيرة ستبدأ فى الظهور. قد تبدأ النخبة الحاكمة باستخدام القوة لإسكات أى نقد من المعارضة. يشعل استخدام القوة هذا موقفًا خطيرًا، حيث لا يكون هناك حل سلمى للصراع، فقد تفقد بعض العناصر فى معسكر المعارضة العقلانية أيضًا ويتصرفون بشكل عنيف، متسببين بهذا بدائرة من العنف والعنف المضاد. برغم ذلك، هناك فرصة أكبر فى التحليل النهائى أن يتحول استخدام العنف إلى عائق بالنسبة للمعارضة، حيث يؤدى إلى فشلها وعدم استقرار المجتمع برمته.

ولهذا، كما أثبتت التجربة الإنسانية، فإن الديمقراطية هى النظام الأفضل، حيث إن لديها آلية داخلية لحل الصراع سلميًا. بمجرد أن يكون للمجتمع نظام ديمقراطى أصيل جيد التنظيم، فإنه يستطيع أن يحل مشاكله وصراعاته سلميًا وأن يستمر فى التقدم.

ما أدى إلى العنف فى معظم الدول الإسلامية (سواء تحققت فيها الوفرة الاقتصادية أم لا) هو الافتقار لأنظمة ديمقراطية أصيلة. يبدو الحل السلمى طويل الأمد والثابت لهذه المشكلة، هو تأسيس ديمقراطية أصيلة وصحية فى كل تلك الدول الإسلامية التى تخلفت فى هذا الصدد.

***

obeikandl.com